

مكانة المعجم اللغوي من التعددية اللغوية : القاموس العربي نموذجا

محمد شندول *

جامعة قرطاج - المعهد العالي للغات، تونس، chand.m@topnet.tn

الاستلام: 2019/10/17 . القبول: 2019/11/13 . تاريخ النشر: 2019/12/31

- تمهيد:

التعددية اللغوية (plurilinguisme) أن يوجد في المجتمع الواحد جماعات لغوية تمثل كيانات داخل ذلك المجتمع تستعمل لغاتها الأصلية إلى جانب وجود لغة عامة تمثل أداة التواصل الجامعة بين كل الفئات في إطار الحياة الاجتماعية الواحدة والعيش المشترك¹. ولئن كانت مسألة التعددية اللغوية تتجلى على مستوى الاستعمال في المجتمعات البشرية، فإننا نرغب في مقاربتها على مستوى العمل القاموسي متخذين من "جمهرة اللغة" لابن دريد نموذجا لذلك محاولة منا نبش التراث للاستفادة من تجربة المعجميين القدماء في معالجة هذه المسألة بما يساعدنا على استنباط بعض المبادئ والقواعد للتعامل مع التعددية اللغوية اليوم إذ لا نعلم بوجود قواعد عامة مدونة حول هذا الموضوع. وتطرح التعددية اللغوية على مستوى المعجم قضية محورية يعكسها السؤالان التاليان اللذان يمثلان إشكالية بحثنا، وهما: كيف يستوعب القاموس اللغوي العام ما يتجلى من مظاهر هذه التعددية؟ وما هو سلوك صاحب القاموس كي يتحول بهذه المظاهر إلى عملية أخذ وعطاء بين مختلف المتكلمين على اختلاف كياناتهم اللغوية في سبيل التحول بها إلى عنصر تنمية لغوية تزيد من إحكام علاقات الترابط بين أبناء المجتمع؟

* المؤلف المرسل: محمد شندول، chand.m@topnet.tn

في إطار هذه القضية يكسب القاموس اللغوي اللغة العامة المشتركة (langue commune) أهمية خاصة لكونه انعكاسا للمعجم الجماعي (lexique) ينزل كل كيانه لغوي في رتبته من الاستعمال ومن ذلك المعجم الجماعي.

وننزل قضيتنا في نطاق فرضيتين: الأولى منهما هي أن يكون القاموس اللغوي العام انعكاسا للمعجم الجماعي يحتل فيه كل كيانه لغوي رتبته من الاستعمال. والفرضية الثانية هي أنه يتحتم على صاحب القاموس أن يكون مدركا للفرضية الأولى. وبالنظر في ذلك وجدنا أن أصحاب المعاجم العربية قد عنوا بالتعددية اللغوية منذ القديم. فآلفوا قواميس ضمنوها ما استوعبوه من الألفاظ التي دخلت إلى العربية من اللغات الأخرى سواء كانت هذه اللغات مما يندرج في ظاهرة التعددية اللغوية، أي مما وجد مع العربية في نفس البيئة، أو التي وجدت خارج تلك البيئة مما يعد لغات أجنبية. وهذه القواميس نوعان: قواميس خاصة بموضوعها ما سمّوه أعجميا، وأشهرها "المعرب من الكلام الأعجمي" لأبي منصور موهوب بن أحمد الجواليقي (ت 540 هـ / 1144 م) و"شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل" لشهاب الدين أحمد بن محمد الخفاجي (ت 1069 هـ / 1659 م)، وقواميس لغوية عامة جامعة مثل "جمهرة اللغة" لأبي بكر محمد بن دريد (ت 321 هـ / 933 م) و"لسان العرب" لجمال الدين محمد بن مكرم بن منظور (ت 711 هـ / 1311 م)². وسنولي عناية في عملنا هذا بكتاب "جمهرة اللغة" لتبيين من خلاله منزلة المعجم العربي من التعددية اللغوية. وهذا يقتضي منا عند البحث عن مظاهر التعددية اللغوية في هذا القاموس أمرين على الأقل: الأول هو تبين أنواع الكيانات اللغوية التي كانت من مصادر ابن دريد وضبط رتبة كل كيانه منها في المجتمع العربي القديم الذي تعايش فيه. والأمر الثاني سبر رصيد المداخل القاموسية المقترضة في "الجمهرة" لاستخراج الطريقة التي اتبعها ابن دريد في معالجة مظاهر التعددية اللغوية واستخلاص بعض المبادئ العامة التي تصلح أن تكون أدوات وصف موضوعي لتلك المظاهر بما يساعد على التنمية البشرية وثناء المعجم الجماعي وخلق جسور سليمة تحقق التواصل المطلوب بين الكيانات اللغوية المتواجدة في المجتمع الواحد.

استتبعا لذلك، فإن هدفنا في هذا البحث هو معرفة أنواع الكيانات اللغوية المستعملة في مجتمع ابن دريد، ومنزلة كل كيانه منها فيه، والكيفية التي تعامل بها هذا المعجمي مع ظاهرة التعددية اللغوية، ونوع الخلفية التي كانت توجهه في وضع المداخل القاموسية والتعريف بها، لاستخلاص جملة من المبادئ والقواعد التي اعتمدها المؤلف في وضع قاموسه واقتراحها أدوات قد تصلح لمعالجة التعددية اللغوية قاموسيا وصولا إلى ما يمكن

أن يمثل وجهة نظر حول هذه المسألة تساهم في تطوير وظيفة القاموس اللغوي العام بما يحقق تنمية لغوية وتواصل أفضل مع كافة المخاطبين.

وننزل هذه الأهداف في نطاق ما نهتدي إليه من نتائج بالنظر في كتاب "جمهرة اللغة" الذي اتخذناه نموذجاً للغيره من القواميس التي نعتقد أنها تحمل ولو نسبياً صورة عن واقع الاستعمال اللغوي في عصور مؤلفيها.

1- ابن دريد وكتاب "جمهرة اللغة":

ولد أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد سنة 223 هـ / 838 م أثناء خلافة المعتصم. استقر لفترات متفاوتة بعدة أماكن من شبه الجزيرة العربية كانت بها طوائف تتكلم لغات أخرى غير العربية. فقد ولد بالبصرة التي كانت فيها الفارسية إحدى اللغات السائدة في المجتمع حيث كان يتكلمها من دخل البلاد العربية من الفرس إثر انتشار الإسلام. ثم انتقل إلى عُمان عام 257 هـ، وأقام فيها اثني عشر عاماً، وقد كان في هذه المنطقة أيضاً فئات من لغاتها الفارسية والرومية، ثم خرج إلى الأهواز فألف كتابه "جمهرة اللغة" هناك وقلده عاملها ديوان فارس "فكانت تصدر كتب فارس عن رأيه، ولا ينفذ أمر إلا بعد توقيعه"³. وقد أقام هناك نحو ست سنوات. وأخيراً دخل بغداد وهو شيخ سنة 308 هـ / 921 م وأقام بها حتى وفاته سنة 321 هـ / 933 م⁴.

يتبين من هذه الترجمة الوجيزة أن ابن دريد كان مدركاً للتعددية اللغوية في مجتمعه وعارفاً لبعض تلك اللغات وخاصة الفارسية إذ كان مكلفاً بديوانها في منطقة الأهواز كما هو بين في الترجمة له وفي بعض تعقيباته على ما يشرح من المداخل حيث يترجم الكلمات منها وإليها مثلما هو الحال في تعقيبته على كلمتي "دَجَر" العربية و"دِزَج" الفارسية. ففي تعقيبته على الكلمة الأولى نراه يذكر مقابلها في الفارسية فيقول: "الدَّجَر: الذي يسمَّى اللُّوياء بالفارسية"⁵. وفي الكلمة الثانية نراه يذكر مقابلها العربي حيث يقول: "فَرَس دِزَج، وهو فارسي معرَّب. والعرب تسمَّى الدِزَج الأُدْغَم"⁶. بل إننا نراه عارفاً أيضاً بالسريانية والنبطية. ففي النبطية نجده يترجم بعض الكلمات العربية إليها في ثلثي العديد من مداخل قاموسه مثل ترجمته لكلمة "حابول" إذ يقول: "والحابُول: الكَرَّ الذي يُصعد به إلى النخل؛ ويسمَّى بالفارسية بَرُونْد، وبالنبطية البُّبْلُيا"⁷. وكذلك ترجمته لكلمة "دِبارة" إذ يقول: "والدِّبَار واحدُها دِبارة، وهي التي تسمَّى بالفارسية الكُرْد، وهي المِشَارَات بالنبطية"⁸. أما السريانية فإن ابن دريد يعتبر أن "كلمة يتكلم بها أهل الشام وليس لها أصل في العربية بأنّها سريانية. من ذلك قوله في تعريف كلمة "الصير": "أحسبه سريانياً معرباً لأن أهل الشام يتكلمون به"⁹. وهذا دليل على معرفته لهذه اللغة، يؤيد

ذلك ترجمته لعدة كلمات إليها مثل كلمة "حميقاء"، وذلك في قوله: "والحميقاء: شبيه بالجُدري يصيب الناس. والبقلة الحمقاء: التي تسميها العامة الرجلة، وهي الفرخ، وإنما سُميت بذلك لضعفها، وهي بالسريانية الفرخ بالحاء"¹⁰.

إن معرفة ابن دريد بعدد من اللغات التي كانت لسان فئات من مجتمعه تزيل عنه نقصا كان سمة لبعض المعجميين ممن هم قبله وبعده. وهذه ميزة تجعل نظرتنا إلى موقفه من مظاهر التعدد اللغوي في مجتمعه نظرة فيها اطمئنان لأن وصفا موضوعيا للغة من اللغات يتطلب قدرا ما من معرفة تلك اللغة.

أما قاموسه "جمهرة اللغة" الذي اتخذناه مصدرا في عملنا هذا¹¹، فيكتسب أهميته من حيث هو قاموس لغوي عام جامع غير انتقائي ألف في عهد عرفت فيه الحضارة العربية الإسلامية تفاعلا ثقافيا وحضاريا كبيرا بين شعوب احتضنتها دائرة واحدة هي دائرة الخلافة الإسلامية. وبالتالي فهو صالح لأن يكون نموذجا يعبر عن مظاهر التعددية اللغوية نظرا لشموليته وادعاء صاحبه في مقدمته تفتحه على ما في عربية عصره من الألفاظ المستعملة ومحاولة استيعابها في مؤلفه والإحاطة بها. فقد ذكر ابن دريد في المقدمة ما يفيد هذا الادعاء إذ نص فيها على أنه ارتجل هذا الكتاب وسماه جمهرة اللغة بقوله: "وإنما أعرناه هذا الاسم لأننا اخترنا له الجمهور من كلام العرب وأرجأنا الوحشي المستنكر"¹²، وأنه اختار بناءه على حروف المعجم لأنها "هي أصل تفرغ منه جميع كلام العرب، وعليها تأليفه وإليها مأل أبنيته، وبها معرفة متقاربه من متباينه ومنقاده من جامحه"¹³.

2- مظاهر التعددية اللغوية من خلال "جمهرة اللغة":

لا شك أن معرفة الصلة بين اللغة العربية وغيرها من اللغات في العصر الذي عاش فيه ابن دريد ضرورية لمعرفة واقع الاستعمال اللغوي في البيئة العربية في ذلك الوقت خصوصا على مستوى ظاهرة التعددية اللغوية. فكيف برزت هذه الظاهرة في قاموسه؟ يمكن الإجابة عن هذا السؤال من خلال تقصي أنواع ما أورده ابن دريد من مقترضات في كتابه. لكن هذا يطرح سؤالا آخر وهو: هل المداخل الأعجمية في قاموسه، هي مظهر اقتراض فقط أم مظهر يكشف أيضا عن تعددية لغوية؟

في الحقيقة، تعكس الكلمات الأعجمية في "الجمهرة"، بل في القواميس العربية عموما، مشغلين مترابطين من مشاغل القاموس العربي: مشغل الاقتراض ومشغل التعددية اللغوية في المجتمع العربي. فمشغل الاقتراض هو مشغل عام يتعلق بأخذ لغة من اللغات

ألفاظاً من لغة أو لغات أخرى. واللغات المأخوذ منها تكون خارجية هاجرت بعض ألفاظها إلى لغات شعوب أخرى، أو محلية تمثل لغات داخلية أمّا لطوائف تعيش في نفس المجتمع. أما مشغل التعددية اللغوية فهو مشغل خاص يتعلق باللغات المتواجدة في نفس المجتمع والتي يكون فيها الاقتراض اقتراساً داخلياً ومظهراً من مظاهر تلك التعددية. وعليه، فإن حديثنا عن مكانة المعجم اللغوي العربي من التعددية اللغوية واتخاذنا كتاب "الجمهرة" نموذجاً لذلك يندرج في إطار المشغل الثاني من خلال ما ننتهي إليه من خصائص التعددية التي تعكسها المقترضات في كتاب "الجمهرة". ولعلّ أول ما تعكسه تلك المقترضات هو أنواع اللغات المأخوذ منها، أي اللغات المصادر (langues sources) باعتبارها جزءاً من قاموس يربط علاقة مع مخاطبين من لغة مورد هي أساس مادته. فما هي اللغات التي كشف عنها قاموس "جمهرة اللغة" مما يمكن اعتباره مظهر تعددية لغوية في المجتمع العربي آنذاك ؟

أظهر تقصينا لأنواع المقترضات التي أدرجها ابن دريد في قاموسه نوعين من اللغات التي تفاعلت معها العربية: لغات أعجمية تعدّ مصادر اقتراس خارجي ولا تمثل تعددية لغوية، ولغات أعجمية تعدّ مصادر اقتراس داخلي وتمثل تعددية لغوية.

2-1 لغات الاقتراض الخارجي :

أبرز هذه اللغات في ما تبين لنا من خلال الجمهرة، الحبشية والهندية. فبالنسبة إلى الحبشية فإنها كانت لغة معروفة عند بعض الأفراد من سكان الجزيرة العربية لمجاورتهم بلاد الحبشة واختلاطهم بأهلها. بل إنها كانت معروفة لكون الأحباش قد غزوا اليمن وحكمها أحد ملوكهم وهو أبرهة الأشرم من سنة 535 م إلى سنة 570 م¹⁴. زد على ذلك أنّه كان للتجار العرب قبل الإسلام وبعده مبادلات تجارية مع الأحباش في رحلاتهم التجارية إلى اليمن، كما كان من الأفراد والجماعات من يذهب إلى الحبشة لأغراض أخرى مختلفة. فمن الجماعات صحابة الرسول في بداية ظهور الإسلام فقد هاجروا إليها هرباً من أعدائهم بمكة. ومن الأفراد من تذكر كتب السير والطبقات أسماءهم، ومن هؤلاء عبد الله بن جحش وأخوه عبيد الله¹⁵. لكن لم يرد في كامل كتاب "الجمهرة" من الكلمات الحبشية إلا كلمتان إحداهما "النجاشي" وهي كلمة يسمي بها الأحباش ملوكهم مثل كسرى وقيصر¹⁶، والثانية اسم لعبة للصبيان وهي "الدركلة"¹⁷.

والسبب الرئيسي في قلة الاقتراض من هذه اللغة رغم كونها كانت معلومة، أنّها كانت لغة لا تمثلها جماعات مستقرة بين السكان العرب. فبقي تداولها نتيجة لذلك، وفقاً على أفراد

متفرقين داخل بعض المدن والقرى في جنوب الجزيرة أو في بعض الأوساط القبلية العربية الأخرى. أما العدد الكبير ممن أسلم من الأحباش فلم يكونوا هم بدورهم طائفة لغوية داخل الجزيرة العربية لأنهم "استمروا في ذمة الحبشة" على حدّ عبارة أبي الحسن المسعودي¹⁸. واستتبعا لذلك فإن علاقة اللغة الحبشية باللغة العربية لم تتجاوز تبادل بعض المفردات نتيجة الجوار والاختلاط العابر وكذلك نتيجة ضعف تأثير الحضارة الحبشية في البلاد العربية الإسلامية. فالحبشية في نظر بعض الدارسين "لم يكن لها تأثير كبير في اللغة العربية والعرب والمسلمين إذ لم تكن بها حضارة قائمة تذكر في الوقت الذي بدأ فيه العرب الإفادة من الثقافات الأخرى، عدا العلاقات التجارية التي ربطت بين الأحباش والمكيين والعلاقات السياسية بينهم وبين جنوب الجزيرة العربية"¹⁹، وهو ما أدى بالعربية إلى الاكتفاء باقتراض بعض الألفاظ.

أما اللغة الهندية فشأنها مع العربية شأن اللغة الحبشية، أي إنّ العلاقة بين اللغتين لم تتجاوز هي أيضا علاقة الجوار والاختلاط العابر. فرغم أنّ أزد عُمان وأهل اليمن كانوا مجاورين للهند "قاطنين بأطراف الجزيرة مختلطين بهؤلاء الأقوام"²⁰، لم تستقر بينهم فئة هندية تضيف بلغتها بعدا تعديدا. ذلك أن ما كان من اختلاط بين العرب والهنود كان اختلاطا ظرفيا أساسه المبادلات التجارية. وبالتالي لم يتجاوز التبادل اللغوي بين الطرفين اقتراض بعض الألفاظ التي نجدها في عدد من القواميس العربية. لكن لا أثر لمثل هذه الألفاظ في كتاب "الجمهرة" إذ لم يذكر ابن دريد في كامل قاموسه منها أي كلمة. ولذا، ليست إشارتنا إليها في هذه الفقرة إلا لكونها من إحدى اللغات الخارجية التي كانت سائدة في عصر المؤلف، فلم نر ترك الحديث عنها حتى لا يعدّ تركها غفلة.

2-2 لغات الاقتراض الداخلي:

(1) الفارسية: هذه اللغة أكثر اللغات الأعجمية حضورا في "الجمهرة". فقد أورد منها ابن دريد بين بابي الهمزة والجيم - دون الثاء والحاء لكونهما ليسا حرفين عامين بين كل اللغات- أربعين مدخلا حسب عملية جرد إلكتروني. وكذلك يبدو شأنها في بقية الأبواب. وهذا يدلّ على أن الفارسية كانت أهم مظهر للتعددية اللغوية في تاريخ العرب القديم وأكثر اللغات المستعملة إلى جانب العربية في ذلك الوقت. وقد قال أبو منصور محمد الأزهرى (ت 370هـ/981م) صاحب "تهذيب اللغة" في ذلك: "ومن كلام الفرس ما لا يحصى مما قد أعربته العرب"²¹. وما يزيد هذا تأكيدا أنّ أصحاب جل القواميس العربية القديمة هم أيضا كثيرا ما يشيرون إلى المفردات التي هي منها حتى لكأن المراد بقولهم "أعجمي" في سائر وسمهم للكلمات الأجنبية بهذه الكلمة هو الألفاظ الفارسية.

وتعود منزلتها هذه إلى شدة الاختلاط بين العرب والفرس قبل الإسلام- ثم تحولت هذه المنزلة إلى مظهر تعددية لغوية واسعة داخل مجتمع واحد وبيئة واحدة عندما أسلم الفرس. فقد استقر هؤلاء بالمناطق التي نزلوا بها في الجزيرة العربية بعد إسلامهم ، خاصة العراق ، واحتفظوا بلغتهم بإزاء العربية²².

(2) الرومية:

هذه اللغة هي من اللغات الهندية الأوروبية، سماها العرب بذلك نسبة إلى الروم، وهم القوم الذين يتكلمونها والذين كانت عاصمة إمبراطوريتهم العربية مدينة روما بإيطاليا وعاصمة إمبراطوريتهم الشرقية مدينة القسطنطينية.

والمقصود بها عند أصحاب القواميس العربية اللغة اليونانية على وجه الخصوص، وموطنها اليونان، وكذلك اللغة اللاتينية باعتبارها فرعاً منها وإن كان موطنها الأصلي إيطاليا. وجدت هذه اللغة ببلاد الشام (سوريا) من شمال الجزيرة العربية منذ نشأة الإمبراطورية الرومانية بالشرق سنة 335 م. وجسمت تعددية لغوية بهذه المنطقة بسبب وجود عدة قبائل عربية مثلت كيانا يدين بالولاء السياسي والديني للإمبراطورية البيزنطية. ومن القبائل العربية الشامية التي تنصرت قبيلة تنوخ التي قدمت من العراق واستقرت في الشام بحاضرة قنسرين وحلب هرباً من جور الفرس في تطاحنهم على الملك. ويذهب المسعودي إلى أن قبائل قضاغة، كانت "أَوَّلَ مَنْ نَزَلَ الشَّامَ وَأَنْصَحُوا إِلَى مُلُوكِ الرُّومِ فَمَلَكُوهُمْ بَعْدَ أَنْ دَخَلُوا فِي الْبَصْرَايَةِ عَلَى مَنْ حَوَى الشَّامَ مِنَ الْعَرَبِ"²³. وتواصل تنصرت عرب الشام في العهد البيزنطي حتى أصبحت المسيحية هي الديانة الغالبة على عرب الشام الذين انتشر منهم رهبان عديدون في الصحراء²⁴.

ويذكر المؤرخون قبائل أخرى نزحت إلى الشام منها طي وعاملة ولخم وجذام، وهي قبائل كهلانية، وأزد عمان وهم من الغساسنة، هاجروا في أواخر القرن الخامس الميلادي من جنوبي الجزيرة العربية إلى الشام بعد انفجار سد مأرب إثر سيل العرم²⁵.

وبعد دخول بلاد الشام في الإسلام وخروج القسطنطينية من نفوذ الإمبراطورية البيزنطية ما بين سنتي 12 هـ / 633 م - 19 هـ / 640 م ازداد اختلاط أهل هذه المنطقة بالقبائل العربية وخاصة الحجازية التي شاركت في القتال فاقتربت اللغتان العربية والرومية أكثر من ذي قبل وتمنت بينهما علاقة التعددية.

وكانت تكتب بهذه اللغة الرسائل التي يبعث بها الخلفاء المسلمون إلى ملوك الروم مثلها في ذلك مثل الفارسية مما يعني علو رتبة كل منهما في سلم اللغات الممثلة للتعددية اللغوية داخل البيئة العربية في ذلك التاريخ.

وقد خصص لها ابن دريد فقرة من كتابه إلى جانب الوسم بها كلما أورد كلمة ظنها منها. وقد تداولها في قاموسه أكثر من عشر مرات. وكانت هذه اللغة بارزة بروزا كبيرا ببلاد الشام من الجزيرة العربية. وكان لكثرة بروزها هذا بتلك المنطقة أن سماها ابن دريد لغة شامية في أكثر من سبعة عشر موضعاً من قاموسه²⁶. ومما ورد من ذكره لها قوله أثناء تعريفه لكلمة "قسطاس": "فأما القسطاس والقسطاس والقسطان فهو الميزان بالرومية، والله أعلم، إلا أن العرب قد تكلمت به"²⁷. والظاهر من هذا المثال وغيره أنه لا يعرف هذه اللغة إذ لا يؤكد صحة نسبة الكلمات إليها كلما تناول كلمة يقال أنها رومية كما هو ملاحظ في هذا المثال الذي أوردنا.

(3) السريانية: هي من اللغات التي أولاه ابن دريد أهمية. وقد أورد منها ما يزيد عن خمسة عشر مدخلا. وهي لغة سامية مشتقة من الآرامية. وكانت سائدة منذ القرن السادس قبل الميلاد إلى القرن الثامن الميلادي / الثاني الهجري. ويعتبرها بعض الباحثين تطوراً طبيعياً للآرامية موحدتين بين اللغتين²⁸.

وتكمن أهمية السريانية داخل المجتمع العربي، في كونها اللغة الأم التي تجمع بين طوائف الآشوريين والسريان والكلدان (النبط) المنتشرة بالعراق وسوريا خاصة، وفي كونها أيضاً اللغة التي يستخدمها العديد من رجال الدين المسيحيين العرب وغير عرب، في كتاباتهم وكذلك في كونها اللغة الطقسية لبعض القبائل المنتصرة²⁹.

مثلت هذه اللغة مظهر تعددية لغوية بينها وبين اللغة العربية في أعقاب قيام الدولة الأموية على وجه الخصوص. "فخلال المرحلة الأولى ظلت السريانية لغة الدواوين وهيئات الدولة حتى عهد عبد الملك بن مروان. وإثر تعريب الدواوين ظلت لغة التخاطب الوحيدة بنسب متفاوتة في القرى والمدن السورية بشكل عام حتى العهد المملوكي في القرن الثاني عشر الميلادي عندما سيطرت اللغة العربية كلغة تخاطب بين أغلبية السكان"³⁰. وبذلك يمكن القول بأنها لغة حظيت بالقبول الرسمي والمجتمعي خاصة خلال القرن الثاني الهجري إلى القرن السابع (القرن الثامن إلى الثالث عشر الميلادي)³¹.

(4) النبطية والعبرانية: هما من فروع الآرامية. والنبطية، هي اللغة التي يتكلمها الآراميون في العراق وبلاد الشام، وكذلك اليهود خلال الصلوات والحصص الدينية إلى جانب لغتهم العبرية³².

وقد سمى ابن دريد القوم الذين يتكلمون النبطية (الآرامية) ثلاث تسميات جاءت مجتمعة في تعريفه لهم، إذ قال: "والتَّبَطُّ: جيل معروف، وهم النبط والأنباط"³³. ويوجد هؤلاء القوم في شمال الجزيرة العربية بالشام والعراق. وهياً ابن دريد للكلمات النبطية فقرة خاصة في قاموسه ذكر فيها أربع كلمات وسمها بهذه اللغة، منها كلمة "حابول" إذ قال: "والحابول: الكرّ الذي يصعد به إلى النخل؛ ويسمى بالفارسية بَرَوُند، وبالنبطية البَبْلُيا"³⁴، وكلمة "دِبارة" حيث قال: "والدِّبَار واحدُها دِبارة، وهي التي تسمى بالفارسية الكُرْد، وهي المَشَارَات بالنبطية"³⁵.

أما العبرانية فهي لغة اليهود. وقد كان يستعملها من كان من القبائل اليهودية التي سكنت الجزيرة العربية مثل قبائل بني قريظة، وبني قينقاع، وبني النضير بالمدينة والجماعات اليهودية التي استقرت باليمن أو ببلاد الشام. ومن الأكيد أنه كان يعرفها أيضاً بعض من أدركها من غير اليهود بالسماع والتقليد أو بالتعلم من أجل قضاء بعض الشؤون. فهي إذن إحدى اللغات التي كانت متواجدة لدى جماعة بعينها في البيئة العربية.

ولم يورد ابن دريد من هذه اللغة إلا أربع كلمات دون حسم في عبريتها لأنه رأى أنه يمكن أن تكون من السريانية، وهذه الكلمات هي: دَهْل، ودَيُوث، وهُسْع، وهِسُوع. ومن وجوه تفسيره لها قوله: "والدَّهْل: كلمة عبرانية قد استعملتها العرب كأنها تأمر بالرفق والسكون. ويقال: مرَّ دَهْل من الليل، أي قطعة"³⁶، وقوله في كلمة دَيُوث: "فأما الدَّيُوث فكلمة أحسبها عبرانية أو سريانية"³⁷.

ما ذكرنا من اللغات الداخلية كان مظهر تعدد لغوي في المجتمع العربي قبل الإسلام وبعده دليل إشارة ابن دريد إلى أن السريانية والفارسية كانتا لغتين في عصره وذلك أثناء تعريفه لكلمة "صير" إذ جاء في نص هذا التعريف: "والصَّير الذي يسمّى الطخْناء أحسبه سُرْيَانياً معرباً لأن أهل الشام يتكلمون به، وقد دخل في عربية أهل الشام كثير من السُرْيَانِيَّة كما استعمل عربُ العراق أشياء من الفارسية"³⁸.

وما يتبين من النظر في تاريخها وفي درجة اهتمام ابن دريد بها أنها كانت كيانات ممثلة لتعددية لغوية فرضت وجودها في بيئتها وفي معجم اللغة الجماعي وفي دواوين الدولة في بعض مراحل التاريخ العربي الإسلامي، فكانت بذلك لغات تعامل يومي ولغات رسمية وشريكا في لغة التواصل العامة. وهذا الاستنتاج يمكن أن نبني منه مبدءاً يحدد خصائص الكيان اللغوي الذي يمكن أن يندرج في إطار التعددية. وهذا المبدأ هو أن اللغة التي تستعملها

جماعة معينة والتي تكون أصيلة في المجتمع ولها نسبة انتشار واضحة هي ما يمكن عدّه مظهر تعدد لغوي.

3 - اللغات الداخلية وطريقة معالجة مقترضاها في الجهمرة :

الاقتراض ظاهرة طبيعية في كل لغة. وهو مظهر تفاعل لغة من اللغات مع محيطها اللغوي الداخلي والخارجي. وهو بذلك نوعان: داخلي وخارجي³⁹. فالداخلي هو ما يتأتى من عدد من اللغات المتواجدة جنبا إلى جنب داخل فضاء اجتماعي واحد في إطار من التعددية اللغوية المحلية مع يقتضيه التفاوت الكمي في عدد مستعملي كل لغة. والخارجي هو ما يكون من خارج الرقعة الجغرافية للجماعة اللغوية.

على أن المواقف الثقافية من الاقتراض عموما نجدها مختلفة عندما نبحث في ردود الأفعال من هذه الظاهرة. ونخص بالذكر ردود أفعال المعجميين. فمنهم من يرفض الاقتراض ويتجه في موقفه اتجاهها صفويا فلا يتناول في قاموسه من الألفاظ الأعجمية إلا ما تتبين له فصاحته وصفاء عربيته ونقاء أصلته بما يؤول إلى عدّه عربيا صحيحا. ومن هؤلاء أصحاب القواميس الذين توحى أسماء قواميسهم بهذا التشدد، مثل "الفصح" لأبي العباس ثعلب (291 هـ / 904 م) و"تهذيب اللغة" للأزهري (ت 370 هـ / 980 م) و"تاج اللغة وصحاح العربية" (الصحاح) لإسماعيل بن حماد الجوهري (ت 393 هـ / 1003 م) و"المحكم والمحيط الأعظم" (المحكم) لأبي الحسن علي بن سيده (ت 458 هـ / 1066 م) قديما، و"المعجم الوسيط" لمجمع اللغة العربية بالقاهرة، حديثا.

ومنهم من اتجه اتجاهها متساهلا فاهتم بما اقترضته العربية مما كان متداولاً في عصره وأدرج ما استطاع جمعه من ذلك في قاموسه اعتباراً منه أنّ ذلك مصدر ثراء للغة العربية وانفتاح على اللغات الأخرى. ومن هؤلاء ابن دريد مثلما بينا ذلك في تقديمنا له.

وفي غياب موقف نظري معلن من هذا المؤلف حول مظاهر التعددية اللغوية في بيئته ودرجات تداول ما عدّه منها لغات أعجمية وأثر ذلك في العلاقات التواصلية نقدم في الفقرة الموالية نموذجين: نموذج (1) حول نسب ما اعتبرناه اقتراضاً داخلياً في كتاب الجهمرة مقارنة بعدد المداخل العربية، ونموذج (2) حول نسب مداخل اللغات المقرضة مقارنة ببعضها بعضاً لنستنتج من ذلك ما نراه عاكساً لمبادئ تنمية لغوية وبشرية.

3-1 نسب المقترض من ألفاظ اللغات الداخلية مقارنة بالمداخل العربية:

نعرض في النموذج (1) الموالي، النسبة الحاصلة من جذور اللغات غير العربية الواردة في الجهمرة مقارنة بنسبة جذور المداخل العربية، وذلك من باب الثنائي إلى حرف الجيم وما يتفرع عنه في باب الثلاثي مستثنين حرف الثاء لأنه ليس حرفاً مشتركاً بين كل اللغات:

نموذج 1: نسبة ألفاظ اللغات الداخلية

عدد المدخل العربية	عدد مداخل الأعجمي
330	38
89 %	11 %

هذا النموذج تواتر
في كتاب الجهمرة
وتعكس هذه النسبة

يعكس
للمداخل الأعجمية
نسبته 11 %.

حجم منزلة اللغات الداخلية في عصر ابن دريد مقارنة باللغة العربية التي يبقى لها حيز نفوذ يساوي 89 % في البيئة نفسها. لكن علينا أن نعرف أيضاً نسبة المداخل الأعجمية مقارنة ببعضها بعضاً لنرى تراتبها الداخلي، وذلك من خلال نموذج إحصائي هو النموذج (2) الموالي.

نموذج 2: نسب المداخل الأعجمية بمقارنة بعضها ببعض في كامل كتاب الجهمرة

النسبة	المجموع	الرومية	الفارسية
65 %	265	174	الفارسية
17 %		45	الرومية
8 %		20	السريانية
7 %		19	النبطية
2 %		5	العبرانية
1 %		2	الحبشية
100 %	265		

يظهر هذا النموذج الإحصائي اختلافا في نسب المقترضات بين لغة داخلية وأخرى في كتاب الجهمرة. وهو بذلك يعكس نسب التفاوت في حجم كياناتها اللغوية في مجتمع المؤلف. وتبدو الفارسية أكثر اتساعا من غيرها بشكل كبير إذ هي تحتل 65 % من النسبة العامة للغات الأخرى المستعملة معها على نفس الرقعة الجغرافية. على أن هذه النسب جميعا وإن اختلفت، فهي لا تخرج في نهاية المطاف عن كونها درجات من التفاعل الإيجابي بين بعضها بعضا وبين ومحيطها اللغوي العام. ونرى ابن دريد مسهما في التقريب بين متكلمي العربية وأهل هذه اللغات من خلال ما يروجه من مفرداتها المقترضة وما يقدمه لها من تعريفات.

2-3- طريقة ابن دريد في معالجة التعدد اللغوي: عالج ابن دريد الكلمات التي تنتمي إلى لغات أخرى غير اللغة العربية من جوانب مختلفة إذ يجد الباحث في ثنايا تعريفاته للمفردات الأعجمية علامات مختلفة في الوسم سار عليها في تحديد عُجمتها. من ذلك الوسم بالاسم والنعته، والإحالة إلى لغاتها الأصلية وضبط طرق نطقها قبل دخولها إلى العربية. ويمكن أن يصلح ما ضبطه من هذه العناصر في وضع مبادئ لطريقة في وصف مظاهر التعددية اللغوية تساعد في ترسيخ التعايش بين لغات المجتمع الواحد. ويجدر أن نوضح طريقته هذه بعرض أمثلة من مظاهرها التطبيقية على مستوى مبدأي الوسم والتأصيل.

2-3-1 الوسم بالاسم والنعته:

أطلق ابن دريد على مفردات اللغات الأعجمية التي تناولوها عددا من التسميات والنعوت نجدها مبثوثة في ثنايا متن الكتاب. والتسميات التي تردد إطلاقها أربع تمثل في نظرنا مصطلحات بسيطة، وهي: مولّد وأعجمي ودخيل ومعرب. والنعوت هي: "ليس بعربي"، و"ليس بعربي محض"، و"ليس من كلام العرب"، و"لم تنطق به العرب". وهي عبارات واصفة أكثر منها مصطلحات. ولكنها جميعا تندرج تحت مصطلح واحد هو المصطلح "اقتراض"، وهو مصطلح لساني حديث برز عنوانا لدراسات معجمية في بدايات النصف الثاني من القرن العشرين⁴⁰.

هذه المصطلحات والنعوت تبدو في ظاهرها إقصائية وفيها استنقاص من اللغات الأخرى. لكنها في الحقيقة بعيدة عن هذا الانطباع بما في ذلك مصطلح "أعجمي". فهذا المصطلح لا يعني الإقصاء ولا هو بمعنى أجنبي. فالأعجمي يمكن أن يتواجد معك في المكان والزمان بخلاف الأجنبي. وقد كان أصحاب القواميس العربية مدركين لذلك إذ لو أرادوا معنى

الإقصاء لقالوا "أجنبي" وفقا لما تعنيه هذه الكلمة في أدبيات الخطاب العربي القديم. فالأجنبي في هذه الأدبيات يعني البعيد، والأجانب هم البعداء.

إذن، ننظر إلى ما ذكرنا من عمليات الوسم على أنها سلوك لغوي أدرك ابن دريد ضرورته. فالوسم من وجهة نظر لسانية ضرورة يقتضيها الوصف اللغوي لأنه يساعد صاحب اللغة على معرفة أصول لغته وتمييز الأصلي من مفرداتها عن غير الأصلي منها، ويهيئ الباحث إلى خصوصيات كل لغة، لأن في كل لغة من الضوابط ما لا يكون إلا في نظامها. ومن هنا لا يجب النظر إلى عمليات الوسم هذه على أنها تقييمات أخلاقية حتى وإن كان الأمر لا يخلو في بعض جوانبه من هذا احتمال. فما يجب هو أن ننظر إلى تلك التسميات والنعوت على أنها سلوك علمي يرد كل مفردة إلى لغتها الأصلية حتى لا تؤدي عمليات الأخذ والعطاء بين اللغات إلى طمس هوية ما يقتض من المفردات أو إرباك النظام اللغوي الجديد الذي أصبحت في دائرته. ولعل هذا ما أراده أغلب أصحاب القواميس وقصدوه بالأساس.

ما يجدر التنبيه إليه أيضا أن كل تلك التسميات والنعوت تبدو لأول وهلة مصطلحات عامة مرادفة لكلمة "أعجمي" أو متضمنة لمعناها على وجه العموم. لكن الباحث المتأمل يلاحظ فويرقات بينها عند مقارنتها في سياقات استعمالها. وهذه الفويرقات يعثر عليها في ما نص عليه علماء اللغة من تعريفات لتلك المصطلحات. فالعربي المولّد في تعريف ابن منظور على سبيل المثال، "هو إذا كان عربيا غير محض". وما ليس بعربي محض "هو ما أحدثه المولدون الذين لا يحتج بألفاظهم" في تعريف السيوطي للمولّد، أو هو ما "ليس من أصل لغتهم" في تعريف أبي القاسم محمود الزمخشري (ت 238 هـ/ 1144 م) صاحب قاموس الأساس/البلاغة". وفي هذه التعريفات الثلاثة لا نجد مفهوما دقيقا لمصطلح "مولّد". لكن الجمع بين هذه التعريفات يؤدي إلى مفهوم مفيد وهو أن "المولّد" كل لفظ غير أصيل، سواء أكان لفظا عربيا مستحدثا أم لفظا مقترضا. وبالتالي فهو أعم دلالة من المصطلح "أعجمي" وليس مرادفا له.

أما المصطلحان "معرب" و"دخيل" فإنه لا فرق بينهما في الدلالة عند بعض أهل اللغة. فالمعرب عند جلال الدين السيوطي (ت 911 هـ/ 1505 م) على سبيل المثال، "هو ما استعملته العرب من الألفاظ الموضوعية لمعانٍ في غير لغتهم"⁴¹، والدخيل عند مجد الدين الفيروز آبادي (ت 817 هـ/ 1415 م) هو "كل كلمة أدخلت في كلام العرب، وليست منه"⁴². فسمّة التعميم هذه في مفهومي هذين المصطلحين لا تجعل مفهوم المعرب مختلفا عن مفهوم

الدخيل. فالمفهوم واحد بينهما عند هذين الرجلين، كما هو ملاحظ. فهما إذن بهذا المنظور من المترادفات.

لكن إذا نظرنا في ما ذهب إليه الجوهرى من تعريف للمعرب فإن مفهوم المصطلح "دخيل" سيكون عكسه. فتعريب الاسم الأعجمي عند إسماعيل الجوهرى هو "أن تتفوه به العرب على منهاجها، تقول: عربته العرب وأعربته أيضا"⁴³. وهو ما يعني ضمنا أن الدخيل أشمل من المعرب أو هو ما حافظ على عجمته في استعمال العرب له. وهذا الفرق اهتدى إليه أبو منصور الجواليقي. فالفرق بين المصطلحين عند هذا الرجل "هو أن الدخيل أعم من المعرب، فيطلق على كل ما دخل في اللغة العربية من اللغات الأعجمية سواء أكان ذلك في عصر الاستشهاد أم بعده وسواء خضع عند التعريب للأبنية العربية أم لم يخضع"⁴⁴. وبهذا الفرق يمكن أن نخرج مما وقع فيه المعجميون من خلط مفهومي بين هذين المصطلحين وأن نميز بينهما. على أن سمة المحافظة على الأصل من عدمها أولى من سمتي التعميم والتخصيص كما هو مقرر في الدرس اللساني الحديث في تعريف المصطلح "دخيل"⁴⁵.

3-2-2 التاصيل:

3-2-2-1 التاصيل بإحالة الكلمة إلى لغتها الأصلية:

يؤصل ابن دريد الكلمات الأعجمية فيحيلها إلى لغاتها الأصلية بعبارات من قبيل: "وأحسبها فارسية" أو "هو روميّ معرب" أو "هو بالسرانية". ومثل هذه العبارات نجدها مبثوثة في مواضع متفرقة من قاموسه أثناء تعريفه للألفاظ الأعجمية.

لكننا نراه يتردد أحيانا شاكا في اللغة الأصلية للكلمة. فيعبر عن ذلك بقوله مثلا: "لا أحسبها عربية صحيحة" أو "أحسبها عبرانية أو سريانية"، أو بذكر أقوال لغويين آخرين حول كلمة من الكلمات من حيث إن تلك الأقوال هي وجهات نظر يمكن الأخذ بإحداها دون غيرها، فيقول مثلا: "وزعم قوم أنه كذا". أو "وقال فلان...". مثال ذلك ما ذكره في تعريفه لكلمة "حمّيق" إذ قال: "وذكر بعض أهل اللغة أن الحمّيق نبت أيضاً. قال الخليل: هو الهَمّيق، وهو عنده أعجمي معرب"⁴⁶.

وتختلف درجة الوضوح في الرد إلى اللغة الأصلية بحسب القاعدة التي يتخذها في الإحالة إلى هذه اللغة. ذلك أنه أمكننا استنتاج أربع قواعد كان يتبعها بدرجات متفاوتة من الاطراد تختلف كل واحدة منها عن الأخرى في نسبة ما تقدمه من معلومات عن اللغة الأصلية. وهذه القواعد الأربع هي: الإحالة التامة، والإحالة الجزئية، والإحالة المنعقدة، والمحاكاة.

ونضبط هذه القواعد مجسمة بأمثلة من كتاب الجهمرة، وذلك في الجدول (1) أسفله لتبيين ما ذكرنا من خصائصها ومدى ما تقدمه من معلومات حول أصل الكلمة المقترضة.

جدول 1: قواعد الإحالة إلى اللغة الأصلية للكلمات الأعجمية في الجهمرة (جم)

قاعدة الإحالة	الكلمة الأعجمية	أصلها	المرجع
1) الإحالة التامة: ذكر الكلمة في اللغة المصدر مع بيان دلالتها وبنيتها الصوتية والصرفية	الباطل البَهْرَج	فارسية: نَبَهْرَه	جم: 1323 / 3
	السفينة البُوصِيّ	فارسي: بُودِيّ	جم: 1323 / 3
	الخيوط المعقّدة الجَدَاد	نبطي: كُدَادِي	جم: 1326 / 3
	لَجَرْدُق: الخبز	فارسي: كِرْدَه	جم: 1325 / 3
	ق : الصغير الجَوْس	فارسي: كُوشَك	جم: 1325 / 3
	الذي يجعل فيه الماء الحَبّ	فارسي: مَعْرَب مَوْلَد: حُتَب	جم: 64 / 1
	الغبار الصَيِّق	نبطي: زَيْقَا	جم : 1325 / 3
	الْقَرَامِيد: الْأَجَر	رومي: قَرَمِيدِي	جم: 1324 / 3
	فَيْرَوَان: الجماعة	فارسي: كَارَوَان	جم: 1324 / 3

جم 1324 /3 :	رومي معرب: Ø	السَّجَنَجُ ل: المرأة	(2) التعريف بالإحالة الجزئية: (أ) بذكر اللغة المصدر فقط أو بالكلمة التي منها
جم 1322/3 :	فارسي: Ø	السَّخْتُ : الشديد	
جم 1324 /3 :	رومي معرب: Ø	القُسْطَا س: الميزان	
جم : 1324/3	رومي معرب: Ø	قَوْمَس: الأمير	
جم: 1325/3	معرب أصله: كُنْدَه	الخندق : أي المحفور	
جم : 1325/3	روميان معربان: Ø	التَّرياق / الدَّرياق: Ø	(ب) بالتعريف الغائب
جم : 1325/3	من النبطية والفارسية: كُرْبُز	قُرْبُز: Ø	
جم: 1325 /3	نبطي: مريزي	مرعزاء: Ø	

جم: 57/1	دخيل:	الأس: المشموم	(3) التعريف بالإحالة المنعدمة: بالتنصيح فقط على كون الكلمة أعجمية
جم: 255/1	أعجمي معرب: 0	الباغوت :عيد للنصاري.	
جم: 322/1	أعجمي معرب: 0	البرق: الحمل	
جم: 266/1	معرب: 0	الجريب من الأرض	
جم: 301/1	ليس من كلام العرب ، وهي كلمة مؤلدة.	نحرير: ضدّ بليد	
جم: 304/1	معرب: 0	السذاب : بقلة	
جم: 490/1	أعجمي معرب: 0	المنجني ق: 0	
جم: 1323 /3	فارسي: أرئذه	الأرنذج: الجلود التي تدبغ بالعُص حتى تسواد	(4) المحاكاة: بذكر الكلمة معربة ومقابلها في لغتها الأصلية
جم: 1322/3	فارسي: دواؤوذ	الدّيابوذ : ثوب يُنسج على نيرين.	
جم: 1323/3	فارسي: إسفست	الفصاف ص : الرطوبة.	

جم: 1322/3	فارسي: گَرْدَمَانْد	الفَرْدَمَا ني: العمل الباقي
جم: 1322/3	فارسي: گَرْدَن	الكَرْد: العُنُق
جم: 1322/3	فارسي: مُهَرَّ كَرْد	المُهَرَّق: خرق تصقل ويكتب عليها

يوضح هذا الجدول أنَّ أهم قواعد الإحالة هي القاعدة الأولى لكونها تقدم وصفا مزدوجا: وصفا للفظ المقترض في طار استعماله في لغته الأصلية ووصفا لها مرّ به من تحول شكلي ودلالي في رحلته إلى اللغة المورد، يليها في الأهمية القاعدة الرابعة لكونها توثق للفظ هويته في حالته التي هو عليها في أصل لغته مبني ومعنى لإبانة أن اختلاف لغتين في الخصائص لا ينفي تفاعلهما. أما القاعدتان الثانية والثالثة فرغم ما فيهما من نقص فإنهما لا تقللان من قيمة التأصيل في حدّ ذاته من حيث كونه مبدأ عاما نرى ابن دريد قد التزم به. بل إن القواعد الأربع، وإن اختلفت فيها درجة وضوح المناقلة، فإن ذلك لا يخرج الألفاظ من كونها أعجمية تعكس مظاهر من التعدد اللغوي.

3-2-2-2 التأصيل بإحالة الكلمة إلى بنيتها الأصلية:

من الأمثلة على ذلك قول ابن دريد في "سجلاط": "سجلاط، وهو التّمط يُطرح على اليهودج (...) وقد سألت عجوزاً عندنا روميّة عن نمط فقلت: ما تسمّون هذا ؟ فقالت: سجلاطس"⁴⁷، حيث أحال إلى أنّ سجلاط معرّب وأنّ الكلمة في أصل بنيتها الأعجمية هي "سجلاطس" 1222/3.

ومن الأمثلة أيضا النماذج التي في الجدول (2) التالي:

الملاحظ في هذا النوع من التأصيل كما هو بين في الجدول (2) أن ابن دريد يحاول في ذكر المقابل الأعجمي نقل الصورة الصوتية للكلمة الأعجمية. لكنه يقابل ذلك بالأصوات العربية. ولذا فإنه قد يكون في عملية النقل نقص في التمثيل الصوتي الحقيقي لطريقة النطق،

جدول 2: الإحالة إلى البنية الأصلية للكلمة

المرج ع	الإحالة إلى البنية الأصلية	الكلمة المعربة
جم: 1222/3	فارسي: آرندَه	الأرندَج: الجلود التي تدبغ بالقفص حتى تسودَّ
جم : 1323/3	فارسي: بُوذِيّ	البُوصِيّ: السفينة
جم : 1326/3	نبطي: كَدَادِي	الجَدَاد: الخيوط المعقّدة
جم : 1325/3	فارسي: كِرْدَه	الجَرْدَق: الخبز
جم : 1325/3	فارسي: كُوشَك	الجَوْسَق : الصغير
جم:3 1326/	سرياني: شُمُوِيل	سَمَوَال: اسم رجل
جم : 1325/3	نبطي: زيقا	الصِّيق: الغبار
13/3 24	بالرومية: قِرْمِيدِي	القراميد: الأجر

وقد يكون ابن دريد مفتقرا للجهاز الوصفي الكافي في رسم الصوامت والصوائت الأعجمية. يتضح لنا مما بيّنا في الفقرتين أعلاه أنّ مبدأي الوسم والتأصيل مفيدان في التعامل مع التعددية اللغوية لأن ذلك يساهم في الوقت نفسه في تثبيت هوية كل لغة وتمتين جسور الترابط والتعايش بين الكيانات اللغوية في المجتمع الواحد.

وتدفع الطريقة التي اتبعها ابن دريد إلى تصور لطبيعة الخطاب القاموسي. فهذا الخطاب يجب أن يكون موجهاً إلى كل مستهلك للقاموس بغض النظر عن لغته الأم أو جنسه أو عرقه أو طائفته. فالخطاب القاموسي المطلوب الذي يمكن تصويره ليس الخطاب الذي يكون

خاصا أو موجهًا إلى مستهلك بعينه، بل الخطاب الذي يكون موجهًا إلى كل مستهلك للقاموس في أي مكان وفي أي زمان. وهذا عكس التصور الصفوي الذي يجعل لغة القاموس لغة وظيفية لا تعني إلا صاحب اللغة المدرك لأسرارها.

ولم نجد في ما انتهينا إلى استنتاجه من والقواعد التي اعتمدها ابن دريد ذكرا لشروط أوقود معينة لقبول مظاهر التعددية اللغوية. فهو يدرج مظاهر هذه التعددية بحسب الشائع في الاستعمال شيوعا عفويا. ومرجع ذلك رؤيته الضمنية إلى وظيفة القاموس العامة ونوع المخاطب الذي يُوجّه إليه النص القاموسي. فما نستنتجه إذن من طريقته في التعامل مع مداخل قاموسه المختلفة أنه يرى أن وظيفة القاموس الرئيسية هي وظيفة تواصلية تهم كل قارئ. ولذلك نراه مستوعبا لمظاهر التعددية اللغوية وحريصا على تعريف ما تبادلتها الكيانات اللغوية في مجتمعه من ألفاظ.

- خاتمة:

ما تبييناه من اللغات الداخلية التي ذكرها ابن دريد في كتابه "جمهرة اللغة" كان كيانات لغوية لجماعات بشرية عاشت في رقعة جغرافية واحدة. وكان من هذه الكيانات ما اتخذ في فترة من الفترات لغة رسمية في دواوين الدولة. وتعدّ أصالة الكيان اللغوي من مبادئ التمييز بين ما يندرج في التعددية اللغوية وما يبقى لغة أجنبية لا تندرج في هذه التعددية. وما أورده ابن دريد في الجمهرة من الكلمات التي يسميها أصحاب القواميس العربية ألفاظا أعجمية استطعنا أن نستنتج منه بعض المبادئ العامة في التعامل القاموسي مع التعددية اللغوية. ومن هذه المبادئ أصالة النقل واعتبار الألفاظ التي تتبادلها الكيانات اللغوية هي وحدات تتساوى في الاستعمال وتستحق الانتماء إلى اللغة العامة المشتركة والاندرج في القاموس. ويعود ذلك إلى وجهة نظر تبدو متجلية في قاموس "جمهرة اللغة" وهي اعتبار وظيفة القاموس وظيفة تواصلية بالأساس تعتمد الشائع من المفردات. فقد وجدنا ابن دريد يقف من التعدد اللغوي موقفا غير إقصائي وغير متأثر بالنزعة الشعوبية، فقدّم بذلك قواعد لوصف مظاهر التعددية اللغوية جديرة بأن تسهم في رسم خطة للتعايش بين اللغات. فجسم كتاب "الجمهرة اللغة" بذلك نموذجا للقاموس اللغوي العام الذي يتناول لغة التخاطب الغالبة التي تعدّ اللغة المشتركة، وتضمّن بعض القواعد التي يمكن أن تُستوعب بها المقترحات الهناتية من التعددية اللغوية بعيدا عن الإقصاء والتعصب. وهذا من شأنه أن يمهّد السبيل نحو وضع منهج عام في التعامل مع التعددية اللغوية ييسر التواصل بين أبناء المجتمع على اختلاف لغاتهم ويساهم في دعم ما يتأسس بينهم من عناصر التفاهم المتبادل. على أنه لا يجب أن

يؤدي انفتاح القاموس اللغوي العام إلى التخلي عن خاصية الحماية أو أن يتحوّل هذا القاموس إلى ترجمان لألفاظ لغات متعددة أو حامل لعدد كبير منها أو أداة للتعرف على أنظمتها. فهذه من وظائف أنواع أخرى من المؤلفات كالقواميس الثنائية والكتب التعليمية وغير ذلك.

قائمة المصادر والمراجع:

1) المصادر:

- ابن دريد، أبو بكر محمد بن الحسن: جمهرة اللغة، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت-لبنان، 1987.

2) المراجع:

أ) المراجع العربية:

- ابن دريد: ديوان شعر أبي بكر بن دريد، تحقيق: السيد محمد بدر الدين العلوي، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1946.
- ابن السراج، أبو بكر محمد بن سري: رسالة الاشتقاق، تحقيق محمد علي درويش ومصطفى الحديدي، مكتبة جامعة اليرموك، 1973.
- ابن سعد، محمد: الطبقات الكبرى، تحقيق محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، 1990، ج3.
- الأزهرى، أبو منصور محمد: تهذيب اللغة، دار إحياء التراث العربي، بيروت-لبنان، 2001.
- الجواليقي، أبو منصور موهوب: المعرب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم، دار القلم، دمشق، ط1، 1990.
- الجوهري، إسماعيل بن حماد: تاج اللغة وصحاح العربية، ط2، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت-لبنان، 1979، ج1.
- الفارابي، أبو نصر: كتاب الحروف، تحقيق: محسن مهدي، ط2، دار الشرق، بيروت-لبنان، 1990.
- الفيروزآبادي، مجد الدين: القاموس المحيط، دار الحديث، القاهرة، 2008.
- المسعودي: مروج الذهب، المكتبة العصرية، صيدا-لبنان، 2005، ج1، ج2.

- موسكاتي، سبتينو: الحضارات السامية القديمة، ترجمة: السيد يعقوب بكر، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، بيروت لبنان، 1986
- النملة، علي بن إبراهيم: مراكز الترجمة القديمة عند المسلمين، مجلة جامعة الإمام محمد ابن سعود الإسلامية، العدد 4/1411 هـ.
- الموسوعة الحرة : ويكيبيديا: الفتح الإسلامي لفارس // الفتح الإسلامي للشام < العلاقات العربية الرومية قبل الفتوح // السريانية // لغة سريانية // لغة آرامية // لغات اليمن، بتاريخ 2017/07/21.
- (ب) المراجع الأعجمية:
- Baccouche (Taieb) : L'emprunt en arabe moderne, Beit AL-Hikma — I B L V , Tunis, 1972.
- Deroy(L.): L'Emprunt linguistique, Les Belles Lettres, Paris, 1956.
- Ducrot,O. , et Todorov, T. : Dictionnaire encyclopedique des sciences du langage, éd.Seuil,Paris, 1972.
- Dubois(J) et al: Dictionnaire de linguistique et des sciences du langage, librairie Larousse, Nancy, 1984.
- Guilbert (L.) : La créativité lexicale, Larousse, Paris, 1975.
- Haelewyck, Jean-Claude : Grammaire comparée des langues sémitiques: éléments de phonétique, de morphologie et de syntaxe, CollectionLangues et cultures anciennes, 24 . Éditions Safran, Bruxelles, Belgique, 2016
- Loubier , Christiane : Analyse comparée des emprunts, Office québécois de la langue française, québec, 2011.
- Moscati, Sabatino : Ancient Semitic Civilisation, 3th ed. Capricorn Books edition, New York, 1960
- Peters, Francis E. : Muhammad and the Origins of Islam, SUNY Press, 1998

- ¹ لا بد من التفريق بين التعددية اللغوية على المستوى الشخصي والتعددية اللغوية المجتمعية. فالتعددية اللغوية الشخصية أن يكون الفرد عارفاً بلغتين أو أكثر. أما التعددية اللغوية الاجتماعية فهي أن يتواجد في المجتمع الواحد أكثر من كيان لغوي كما هو الحال في المجتمعات الإثنية. ويقابل مصطلح "تعددية لغوية" المصطلح الفرنسي " plurilinguisme". ويأتي هذا المصطلح الفرنسي مرادفاً لمصطلح فرنسي آخر هو "multilinguisme" (ينظر: Dubois(J) et al. ; Dictionnaire de linguistique et des sciences du langage, librairie Larousse, Nancy, 1984, p.348 ; Ducrot, O. , et Todorov, T. : Dictionnaire encyclopédique des sciences du langage, éd. Seuil, Paris, 1972, p.83). على أنّ المصطلح "multilinguisme" أعلق بالتعددية اللغوية الشخصية. كذلك يختلف مفهوم التعددية اللغوية الفردية منها والاجتماعية عن مفهومي التداخل اللغوي (interférence linguistique) والازدواجية (dualité) اللغوية. فالتداخل اللغوي هو استعمال عناصر لغة ما في لغة أخرى أثناء التخاطب نتيجة تأثير إحدى اللغتين في الأخرى. والازدواجية اللغوية هي مراوحة بين مستويين في اللغة الواحدة في السلوك اللغوي اليومي للفرد، مثاله المراوحة بين الفصحى والعامية في العربية..
- ² القواميس اللغوية العامة صنفان: صنف حمائي محافظ جعل وظيفته حماية اللغة العربية، مثال ذلك: تهذيب اللغة للأزهري، والفصح لثعلب، والصالح للجوهري، وهي من القواميس القديمة. والمعجم الوسيط لمعجم اللغة العربية بالقاهرة من القواميس الحديثة. والصنف الآخر هو صنف منفتح على مظاهر الاستعمال اللغوي الشائعة، من ذلك جهمرة اللغة لابن دريد، والقاموس المحيط للفيروزآبادي ولسان العرب لابن منظور. وهذا الصنف هو الذي بعيننا. وقد اتخذنا منه "جهمرة اللغة" واتخذناه نموذجاً للقواميس التي تعرضت إلى التعددية اللغوية.
- ³ ابن دريد: ديوان شعر أبي بكر بن دريد، تحقيق: السيد محمد بدر الدين العلوي، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1946، ص 8.
- ⁴ ينظر في ترجمة ابن دريد المرجع السابق ص ص 6-9.
- ⁵ ابن دريد: الجهمرة، جهمرة اللغة، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت-لبنان، 1987، مادة (ج د ر).
- ⁶ المرجع نفسه، مادة (ج د ز).
- ⁷ المرجع نفسه، مادة (ب ح ل).
- ⁸ المرجع نفسه، مادة (ب د ر).
- ⁹ الجواليقي، أبو منصور موهوب: المعرب من الكلام الأعجبي على حروف المعجم، دار القلم، دمشق، ط1، 1990، ص 60.
- ¹⁰ ابن دريد: الجهمرة، مادة (مادة: ح ق م).
- ¹¹ اعتمدنا في كتاب الجهمرة على الطبعة الصادرة عن دار العلم للملايين، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، بيروت-لبنان، 1987.
- ¹² ابن دريد، الجهمرة، 41/1.
- ¹³ المرجع نفسه، 40/1.
- ¹⁴ Peters, Francis E. : Muhammad and the Origins of Islam, Suny Press, 1994, p.88

- ¹⁵ ينظر: ابن سعد، محمد: الطبقات الكبرى، تحقيق محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، 1990، 65/3.
- ¹⁶ نفسه، المدخل (ج ش ن): "فأما النَّجَاشِيُّ فكلمة حبشية، يسمون ملوكهم بها كما يسمون كسرى وقيصر".
- ¹⁷ نفسه، باب الرباعي: الدال والراء: "والدِّرْكَلَة: لعبة يلعب بها الصبيان أحسبها حبشية معربة".
- ¹⁸ المسعودي: مروج الذهب، المكتبة العصرية، صيدا-لبنان، 2005، 15/2.
- ¹⁹ النملة، علي بن إبراهيم: مراكز الترجمة القديمة عند المسلمين، مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، العدد 1411/4 هـ، ص 526.
- ²⁰ الفارابي،: كتاب الحروف، تحقيق: محسن مهدي، ط2، دار الشرق، بيروت-لبنان، 1990، ص 147.
- ²¹ الأزهرى: تهذيب اللغة، دار إحياء التراث الهري، بيروت-لبنان، 2001، م 309/10.
- ²² الموسوعة الحرة: ويكيبيديا: الفتح الإسلامي لفارس < العلاقات العربية الفارسية قبل الفتوح، 2017/07/24.
- ²³ المسعودي: مروج الذهب، 84/2.
- ²⁴ الموسوعة الحرة: ويكيبيديا: الفتح الإسلامي للشام < العلاقات العربية الرومية قبل الفتوح، يوم 2017/07/24.
- ²⁵ المرجع نفسه والتاريخ نفسه.
- ²⁶ سمي ابن دريد الرومية لغة شامية كما في سياق تعريفه لكلمة "جَوَّ" حيث قال: "وجَوَّ البيت: داخله؛ لغة شامية (رومية). وكانت العرب تسمي اليمامة في الجاهلية جَوَّ (الجمهرة: 93/1)، وكذلك في سياق تعريفه لكلمة "جلنفاط" على سبيل المثال أيضا، حيث قال: "وجلنفاط لغة شامية، وهو الذي يعمل السفن (الجمهرة: باب ما جاء على فِعْلًا، 1222/3). ونجد على غرار معجميين آخرين مثل ابن منظور في المدخل (بين) عند شرحه كلمة "الكواكب البابائيات" إذ اعتبرها شامية بمعنى رومية.
- ²⁷ ابن دريد: الجمهرة، مادة (س ط ق).
- ²⁸ موسوعة الحرة: ويكيبيديا، مادة: السريانية، بتاريخ 2017/07/20.
- ²⁹ المرجع نفسه، مادة: السريانية، بتاريخ 2017/07/20.
- ³⁰ المرجع نفسه، مادة: السريانية.
- ³¹ النملة، علي بن إبراهيم: مراكز الترجمة القديمة عند المسلمين، مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، العدد الرابع/ 1411 هـ، ص 529.
- ³² الموسوعة الحرة: ويكيبيديا: لغات اليمن، بتاريخ 2017/07/27.
- ³³ ينظر: ابن دريد: الجمهرة، مادة (ب ط ن)، 362/1.
- ³⁴ ابن دريد: الجمهرة، مادة (ب ح ل).
- ³⁵ نفسه، مادة (ب د ر).
- ³⁶ المرجع نفسه، مادة (د ل ن).
- ³⁷ نفسه، مادة (ث د ي).
- ³⁸ المرجع نفسه، مادة (ر ص ي).
- ³⁹ يشير اللسانيون اليوم إلى أن عمليات الاقتراض ضربان: ضرب يسمى اقتراضا خارجيا: emprunt externe، وضرب يسمى "اقتراضا داخليا: emprunt interne (ينظر: Guilbert (L.): La créativité lexicale, Larousse, (Paris, 1975, p.23, 89).
- ⁴⁰ ينظر في المصطلح "اقتراض" باعتباره تسمية جديدة في الدرس اللساني الحديث:

- Deroy(L.): L’Emprunt linguistique, Les Belles Lettres, Paris, 1956.
- Baccouche (Taieb) : L’emprunt en arabe moderne, Beit AL-Hikma — I B L V , Tunis, 1972.
- ويعتبر صاحب الكتاب الأول، أي لويس دوروي (Deroy(L.)) أول من استعمل هذا المصطلح في
الدرس المعجمي الحديث.
⁴¹ السيوطي: المزهري، 268/1
- ⁴² الفيروز ابادي، مجد الدين: القاموس المحيط، دار الحديث، القاهرة، 2008، مادة (دخل)
- ⁴³ الجوهري، إسماعيل بن حماد: تاج اللغة وصحاح العربية (الصحاح)، ط 2، تحقيق: أحمد عبد
الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت- لبنان، 1979، 179/1
- ⁴⁴ الجواليقي، المعرب، ص 17.
- ⁴⁵ ينظر في ذلك المصطلح الفرنسي "Xénisme:" في: Guilbert : La créativité lexicale, pp. 93-94؛
ينظر أيضا:
- Loubier , Christiane : Analyse comparée des emprunts, Office québécois de la
langue française, québec, 2011, p.12 ; Dubois, J. : Dictionnaire de linguistique, p.512.
- ⁴⁶ ابن دريد: الجوهرة، ج1، مادة (ح ق م).
- ⁴⁷ ابن دريد، الجوهرة، باب ما جاء على فعلاّل